Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذي يعرض صفحة قلبه ليلقى نور الحقيقة. ولا عجب فمن السهل – كما يقول مندور – « أن نرى في الذوق الأدبي شيئا غامضا أقرب الى التصوّف منه إلى الضوء »[123] .

وأن نلقى العمل الفني «بقلوبنا» يعني أن يفسح العقل المجال للقلب ، فلا يعود العقل هو أداة المعرفة بل عوضه القلب والوجدان . وهكذا يصبح الطابع الوجداني والعاطفي هو الكفيل بحلّ مغلقات النصّ ، وليست النظريات العلمية التي يحاول البعض اقحامها . فالذات بإزاء العمل الفني (النصّ الأدبي مثلا) تقوم بعمليّة اسقاط ذاتي مقترن بضرب من الامتزاج والذوبان في الموضوع ، أو ما يسميه مندور بـ «الاتحاد الشعري» فتشيع الذات في الشيء الذي تتأمّله حياتها وروحها ونوازعها وشتّى مظاهر إحساسها . فتأخذ التجربة الجمالية طابعا صوفيا ويتم فيها ضرب من الاتحاد أو الامتزاج بين الذات والموضوع .

2 . ولكن هل الذوق عملية ذاتية بحتة حقا ، أم له مرجع يرجع اليه ؟ يقرّر منذ في البداية أن الذوق « ليس له مرجع يرجع اليه »[124] ولكنّه يسارع وكأنّه يدفع عن نفسه تهمة فيقول : « إنّ الذوق ليس معناه ذلك الشيء العام المبهم التحكمي »[124] فماذا يكون إذن ؟ « هو ملكة – وإن يكن مردها ككلّ شيء في نفوسنا إلى أصالة الطبع – إلا أنّها تنمو وتصقل بالمران »[124] .

فما هي إذن الشروط اللازمة التي يجب أن تتوفّر في الذوق ليصبح أداة صالحة للنقد ؟ وكيف يمكن أن يترقّى الذوق حتّى يصبح وسيلة مشروعة من وسائل الحكم على الأثر الأدبي ؟

(123) في الميزان الجديد ، ص172 .

(124) نفس المرجع ص103 .